الرؤى الفلسفية في كتاب "الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي

م.د.زمزم محمد حسين
جامعة كركوك / التربية الأساسية

البريد الإلكتروني Email : zamzammohammed@uokirkuk.edu.iq

الكلمات المفتاحية: صداقة الفضيلة، صداقة المنفعة ،صداقة المتعة،صداقة الروح.

كيفية اقتباس البحث

حسين، زمزم محمد ، الرؤى الفلسفية في كتاب "الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Philosophical Perspectives in Abu Hayyan al-Tawhidi's "Friendship and the Friend

Dr. Zamzam Mohammed Hussein
University of Kirkuk/ Basic Education

Keywords : Friendship of Virtue ،Friendship of Utility, Friendship of Pleasure, Friendship of the Soul.

How To Cite This Article
Hussein, Zamzam Mohammed, Philosophical Perspectives in Abu Hayyan al-Tawhidi's" Friendship and the Friend,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2026,Volume:16,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

The book" Al-Sadaqa wa Al-Sadeeq) "Friendship and the Friend) by Abu Hayyan al-Tawhidi represents a significant turning point in the Arab philosophical and ethical heritage. The author transcended the mere collection of anecdotes and traditions to present a comprehensive idea of the essence of the" Other "and its role in achieving self-perfection. The importance of this work lies in it being a conscious philosophical reaction to the ethical and social crises observed by al-Tawhidi, as he analyzed the transformations in human relationships toward utilitarianism and materialism. This prompted him to re-establish the concept of friendship as a supreme moral value and a sanctuary that protects humans from isolation and psychological alienation.

The philosophical vision in the book revolves around the "Ontology of Friendship "،where al-Tawhidi views the true friend as "another who is you ".This concept reflects philosophical ideas about the union of souls and the harmony of essences. Al-Tawhidi succeeded in integrating philosophical thought with spiritual values, providing a precise classification of the types of friendship; he placed" Friendship of

Virtue "at the top of the pyramid, considering it an end in itself that does not change with shifting circumstances, because it relies on the love of absolute goodness and the pursuit of perfection. In contrast, he addressed "Friendship of Utility "as a temporary relationship that ends with the cessation of material need, making it less valuable and more fragile . Meanwhile, he placed" Friendship of Pleasure "in a middle rank associated with sociability and sensory delight, yet it also lacks continuity and stability.

The methodology used by al-Tawhidi in his book combines psychological research with deep ethical analysis. He seeks to cleanse the concept of friendship from material impurities and narrow interests, considering the" Friend "as the mirror in which a person sees their flaws and merits ،and the true partner in the journey of growth toward the essence of humanity .Therefore, the book is not merely thoughts on friendship, but rather an ethical law calling for a return to rational and spiritual values as the foundation for building human relationships. This philosophical vision grants the book an enduring value, making it an important source for understanding the nature of the human soul and its conflicts between idealism and reality, offering a philosophical solution to the problem of spiritual distance between people.

الملخص باللغة العربية

يمثل كتاب "الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي نقطة تحول مهمة في التراث الفلسفي والأخلاقي العربي. فقد تجاوز المؤلف مجرد جمع الأخبار والآثار ليقدم فكرة شاملة عن ماهية "الآخر" ودوره في تحقيق كمال الذات. تكمن أهمية هذا العمل في كونه رد فعل فلسفياً واعياً للأزمات الأخلاقية والاجتماعية التي لاحظها التوحيدي، حيث قام بتحليل التحولات في العلاقات الإنسانية نحو النفعية والمادية. وقد دفعه ذلك إلى إعادة تأسيس مفهوم الصداقة كقيمة أخلاقية عليا وملاذ يقي الإنسان من عزلته واغترابه النفسي.

تدور الرؤية الفلسفية في الكتاب حول "أنطولوجيا الصداقة"، حيث يرى التوحيدي أن الصديق الحقيقي هو "آخر هو أنت". يعكس هذا المفهوم أفكاراً فلسفية حول اتحاد الأرواح وتوافق الجواهر. تمكن التوحيدي من دمج الفكر الفلسفي بالقيم الروحية، وقدّم تصنيفاً دقيقاً لأنواع الصداقة؛ وضع "صداقة الفضيلة" في قمة الهرم، معتبراً إياها هدفاً بحد ذاتها لا تتغير بتغير الظروف، لأنها تعتمد على حب الخير المطلق والسعي نحو الكمال. وفي المقابل، تناول "صداقة المنفعة" باعتبارها علاقة مؤقتة تنتهي بانتهاء الحاجة المادية، مما يجعلها أقل قيمة

وأكثر هشاشة. بينما وضع "صداقة المتعة" في مرتبة وسطى ترتبط بالأنس واللذة الحسية، لكنها أيضاً تفتقر إلى الاستمرارية والثبات.

الطريقة التي استخدمها التوحيدي في كتابه تجمع بين البحث النفسي والتحليل الأخلاقي العميق. يسعى إلى تنظيف مفهوم الصداقة من الشوائب المادية والمصالح الضيقة، ويعتبر أن "الصديق" هو المرآة التي يرى فيها الشخص عيوبه ومميزاته، وهو الشريك الحقيقي في رحلة النمو نحو جوهر الإنسانية. لذا، لا يعتبر الكتاب مجرد أفكار حول الصداقة، بل هو قانون أخلاقي يدعو للعودة إلى القيم العقلانية والروحية كأساس لبناء العلاقات البشرية. هذه الرؤية الفلسفية تمنح الكتاب قيمة دائمة تجعله مصدراً مهماً لفهم طبيعة النفس البشرية وصراعاتها بين المثالية والواقع، وتقدم حلاً فلسفياً لمشكلة البعد الروحي بين الناس.

المقدمة

يُعدّ كتاب "الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي الذي توفي عام (٤١٤)هجريةبمثابة نص أساسي في الفكر الأخلاقي العربي، فهو ليس مجرد عمل أدبي بل دراسة فلسفية متعمقة تستكشف جوهر الروابط الإنسانية وكيفية بلوغ النقاء في عالم متقلب. نشأ هذا الكتاب نتيجة لتجربة قاسية مرّ بها التوحيدي في العصر البويهي الذي تميّز بالازدهار الفكري والنقدي، ولكنه عانى كذلك من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية. وقد دفعت هذه الظروف الفيلسوف الناقد إلى الشعور العميق بالنفعية الاجتماعية والمظاهر الخادعة في المجتمع. لذا لم تكن الصداقة مجرد موضوع للتفكير بالنسبة للتوحيدي، بل كانت بمثابة ملجأ وجودي وحل أخلاقي للتغلب على هذا التدهور.

ارتكزت رؤية التوحيدي الفلسفية على أن الصداقة الحقيقية التي أطلق عليها اسم "صداقة الفضيلة"، هي السبيل الأمثل لتحقيق الكمال العقلي والروحي، وهي قيمة ثابتة كـ"الحكمة" و"الخير". ويرى التوحيدي أن الصديق شريك في الهدف الأسمى، وهو بمثابة "مرآة للنفس" تساعد الأفراد على تنقية أنفسهم وتحقيق التوازن بين العقل والروح، مما يضفي على الصداقة قيمة دائمة لا تتأثر بتبدل الظروف المادية. ومن خلال منهجه الدقيق جمع التوحيدي بين الفلسفة الأرسطيةالكلاسيكية التي تقسم الصداقة على فضيلة ومنفعة ومتعة، فضلا عن العمق الروحي والنقدي المستوحى من متطلبات الإخلاص في الفكر الإسلامي. هذا التمازج الفريد يجعل تصنيفه لأنواع الصداقة ليس مجرد سرد، بل بمثابة خارطة توضح مراتب الوجود الإنساني بناءً على دوافع الأفراد في علاقاتهم.

يؤكد التوحيدي أن صداقة الفضيلة هي الأسمى والأندر، فهي تقوم على حب الخير والكمال لذاتهما، ولا تتأثر بالتقلبات أو تنتهي. على النقيض من صداقة المنفعة التي وضعها في المرتبة الأدنى، لأنها تعكس الدوافع المادية السائدة في العلاقات الإنسانية، ولذلك فهي هشة وزائلة بزوال الحاجة. أما صداقة المتعة فتأتي في مرتبة وسطى، وهي مرتبطة باللذات الحسية أو الرفقة، وعلى الرغم من قيمتها النسبية، إلا أنها متقلبة بزوال الشهوة وتغير الرغبات. وهكذا يقدم كتاب "الصداقة والصديق" إرثًا فلسفيًا دائمًا يضع الحب العقلاني للخير كمعيار أساسي لنجاح العلاقات، ويظل الكتاب مرجعًا مهما للباحثين عن المعنى الأخلاقي للعلاقات الإنسانية عبر العصور.

التمهيد

يتناول هذا البحث دراسةً شاملة لأنواع الصداقة كما وصفها الفيلسوف والأديب أبو حيان التوحيدي في كتابه "الصداقة والصديق". وقد ذكر أبو حيانالتوحيدي إن السبب وراء كتابة هذا الكتاب هو أنه ذكر بعض المعلومات ليزيد بن رفاعة أبي الخير. وعندما سمع سعد بذلك، علم أن أبا عبد الله كان في السنة ٣٧١ قبل أن يتولى مسؤوليات الدولة. فقد كان حديث الصديق ممتعًا، ووصف صاحب المساعد رائعًا.

مدخل نظري

لذلك قد قمتُ بجمع ما في هذه الرسالة، لكنني تأخرت في الرد على القول فيها وكتابة محتواها حتى حدث ما حدث. وعندما جاء وقت رجب في سنة ٤٠٠، وجدت مسودة الكتاب.(١)

تظهر في هذه السياقات أسئلة مهمة، مثل لماذا يلجأ الفيلسوف إلى الأدب؟ ولماذا يتجه الكاتب نحو الفلسفة؟ ما الفائدة التي يحصل عليها الأول؟ وما المكاسب التي يجنيها الثاني؟ بعبارة أخرى، هل هناك أسباب تجعل هذه العلاقة ضرورية فعلاً، وتوضح التاريخ الطويل بينهما، وكيف تحولت الأفكار النظرية إلى تطبيقات عملية؟ وبالطبع، تعددت الآراء واختلفت بشأن طبيعة هذه العلاقة وأسبابها، بين من يدعم الأسلوبية ومن يفضل العمق الفكري.(٢)

وعلى الرغم من أن الكثير من المدارس والفلاسفة يتفقون على وجود ترابط وثيق بين الأدب والفلسفة، وأنهما يكملان بعضهما البعض، إلا أنهم يختلفون في مسألة أيهما أهم وأيهما يأتي أولاً. هل يجب أن نعدالأدب هو الأساس ويليه الفلسفة؟ أم العكس إذ تأتي الفلسفة أولاً ثم يتبعها الأدب؟ الأدب الفلسفي هو أدب في البداية، ولكنه يحمل جانبًا فلسفيًا. فهو يلتزم بقواعد الأدب مثل الرواية والمسرح والشعر، لكنه يحتوي على أبعاد فلسفية. ويبقى هذا النوع من الأدب فناً جميلاً، فهو يتناول الأسئلة الوجودية المهمة (مثل "لماذا") ويدرس قضايا وتحديات الفلسفة. كما

أنه يركز على الإنسان كموضوع رئيس، مما يجعله فلسفياً، بينما يحتفظ بجماليته وتفرده كفن.(٣) ، ولا يزال الحديث عن العلاقة بين الأدب والفلسفة في ثقافتنا العربية يواجه العديد من التحديات ، فالجميع يعرف السمعة غير اللائقة التي تحظى بها الفلسفة في البلدان الإسلامية، والتي نشأت نتيجة مواقف وآراء بعض التيارات والفقهاء، بدءًا من الغزالي (٥٠٥ هـ) وانتهاءً بالتيار السلفي المعاصر. هذا الوضع جعل الفلسفة موضع اتهام وعزل، إذ لا يرغب أحد في الارتباط بها، سواء في العلوم الإنسانية أو الأدب على نحوخاص. ولكن هذا لا يعني أن هناك قطيعة كاملة، إذ توجد الكثير من الروابط والتقارب، على الرغم من أنها ليست بالعمق الموجود في الفكر الغربي. ويرجع ذلك إلى وضع الفلسفة كما ذكرت سابقًا، وعدم تعرضها لنفس المتغيرات التي شهدها الفكر الغربي، مثل انتشار النقد الأدبي والفلسفة النقدية. وهذا سمح لمدارس التراث بالسيطرة وتقديم الأفكار القديمة على الجديدة، مما أدى إلى جمود عام في الأدب. وعلى نحو عام ظل الأدب يحتفظ بمكانته المميزة في الثقافة العربية من دون تجديد حقيقي أو تطورات مستمرة. بينما بقيت الفلسفة كما هي، تمثل علم الكلام ومشكلات ذات طابع فقهي ومذهبي، وهي بطبيعة الحال بعيدة عن الأنظار ولا تؤدي أي دور ملحوظ ولا تتداخل مع أنواع المعرفة الأخرى.(٤) ، وعليه يهدف هذا العمل إلى فهم الأفكار الفلسفية التي عرضها التوحيدي بشأن مفهوم الصداقة، متجاوزًا بذلك حدودها الاجتماعية المعروفة، ولتحقيق ذلك، سيقسم البحث على ستة محاور رئيسة، إذ يتناول كل محور نوعًا معينًا من الصداقة برؤية فلسفية تحليلية، لذ " يرى أرسطو أن الصفات الأساسية للصداقة تنبع من مشاعر التعاطف والمودة التي يشعر بها الإنسان الجيد نحو نفسه. ويحدد خمس علامات تميز الصداقة (وأيضًا الصديق). ويعتقد أن كل واحدة من هذه العلامات تعكس المشاعر التي يحملها الإنسان الجيد تجاه ذاته. يعرف الصديق بأنه: الشخص الذي يتمنى ويفعل الخير لصديقه، أو يظهر له أنه يفعل الخير من أجله، أو الشخص الذي يتمنى لصديقه الوجود والبقاء من أجل مصلحته، أو الشخص الذي يبقى دائمًا مع صديقه، أو الشخص الذي يشاركه نفس المبادئ، أو الشخص الذي يشترك مع صديقه في الأفراح والأحزان. يسعى أرسطو هنا إلى توضيح أن الصداقة الحقيقية مع الآخرين تظهر بشكل مثالي في صداقتنا مع أنفسنا، على الرغم من اعترافه بأن الحديث عن الحب أو الصداقة مع الذات قد يبدو مصطنعًا بعض الشيء."(٥) ومن مميزات هذه الرسالة احتواؤها على مترادفات، مثلما يوضح التفرقة بين الصداقة والعلاقة يشير إلى أن الصداقة تتطلب التفكير المنطقي والتمسك بالقيم الأخلاقية، وتبتعد عن الرغبات والشهوات، وتميل إلى النضج والحكمة. بينما العلاقة تتعلق بالعشق والمشاعر القوية التي تشبه الأمراض أو تعكس تأثيراتها.

ويعالج الكاتب هذه الظواهر الاجتماعية من منظور فلسفي نفسي، متحدثًا عن قرب النفوس وبعدها وتأثير الصفات الشخصية على العلاقات. ويعد الحديث مع الصديق أكثر إمتاعًا للروح من مغازلة المحبوب؛ لأنه يربط الشخص بصديقه بطريقة أعمق. وباختصار لم يقدم التوحيدي موضوع الصداقة على نحو منظم كما فعل أرسطو، ولم يقدم حوارًا يناقش فيه آراء الآخرين كما فعل أفلاطون. بل جمع كل ما سمعه أو قرأه عن هذا الموضوع منذ العصر الجاهلي حتى القرن الخامس ،وكان معظم الأشخاص الذين استشهد بهم شعراء أو أدباء أو فلاسفة من الثقافتين اليونانية والإسلامية. ولم يظهر في كتابه سوى صوت امرأة واحدة تشتكي من علاقتها بالناس في زمنها، بينما عرفنا الكثير عن الرجال الذين ذكرهم.(٦) ، لذا سنسعى إلى الكشف عن أبعاد الفلسفة في هذا الكتاب ومعرفة جوهرها.

المحور الأول: صداقة الفضيلة

تعرف الفضيلة بأنها "١ – استعداد ثابت للإقدام على أعمال صالحة فطرية

٢ – الفضائل الأساسية : الشجاعة ، القناعة ، العدالةالفطنة ،

٣– الفضائل الإلهية : الإيمان، الرجاء ، المحبة

٤–الاستعداد الدائم لفعل الخير بعناد ، وبالتضحية نحو الآخرين ، وبذل الجهد للتغلب على الضعف البشري ، والأنانية ، والميول ، والأهواء الضارة"(٧)

والصداقة المثلى والأعلى لدى التوحيدي هي تلك التي تتميز بالدوام والسمو، وهي تستند إلى الحب في الخير والفضيلة، وليست قائمة على مصالح زائلة أو ملذات آنية. تنبع من العقل السليم والروح الطاهرة، وتهدف إلى تحقيق الكمال الأخلاقي.وهنا يجب ان يستعمل العقل لموازنة الأمور والاختيار الأمثل عقلياً؛لان المعاقلة ليست شيئًا موجودًا فقط في النفس البشرية، بل هي نشاط يمارسه الإنسان عندما يسعى لطلب الحقيقة في موضوع ما. وهي مشابهة للنشاط السمعي الذي يحدث عندما يستمع الشخص لكلام الآخرين. والمعاقلة ليست عملاً يقوم به الفرد بمفرده، بل تتطلب التعاون والتفاعل مع الآخرين، أي من خلال التفاعل مع المجتمع. كما أن المعاقلة تهدف إلى العمل، فكل معرفة تُكتسب بهذه الطريقة تدفع الأفراد للعمل معًا وتوجه سلوكياتهم.(٨)

وفي هذه الصداقة الفريدة لا يحب الشخص صديقه بسبب ما يمكن أن يحصله من منفعة، بل لأنه يرى فيه تمثيلًا لمثاليته التي يسعى إلى تحقيقها. ويتعاون الصديقان على السعي نحو الفضيلة ويتبادلان المشورة خلال مسيرتهما نحو اكتساب الأخلاق الحميدة ، وتمثل هذه الصداقة ركيزة قوية لا تتأثر بتحديات الحياة، فحتى مع فقدان المال أو تغير الوضع الاجتماعي، تبقى روابطها ثابتة كالجبل، لأن أساسها هو جمال الروح ونقاء الضمير. وهذا واضح في قول

التوحيدي: " ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا قال النمري : الجديد ها هنا الصديق الحديث العهد كأنه استجده بالصداقة. والخلق الصديق القديم الصداقة."(٩) ، وتتخطى الصداقة الحقيقية كونها مجرد علاقة عابرة، لتصبح رابطًا نفسيًا وروحيًا قويًا.وتُبنى هذه الصداقة على صفاء النوايا ونقاء القلب ، ويقدم الحوار تحليلًا مزدوجًا للصداقة ، إذيتم الانتهاء من الصديق الجديد ("الجديد") من قبل الصديق القديم ("الخلق").وتصبح القيمة الحقيقية للصداقات الجديدة واضحة فقط عندما نناقضها مع صداقة قديمة قوية توفر لنا ذكريات مشتركة وأمن وثقة.كما أوضح أرسطو ، ويمكن دمج فكرة "صداقة الفضيلة" لتعزيز هذا المفهوم الذي يعتمد على حب الصديق للخير ويتعاون من أجل التقدم الأخلاقي. ويحمل الصديق الجديد بذور الفضيلة والأمل ، في حين أن الصديق القديم قد يكون في النهاية مثالًا حيًا على صداقة الفضيلة. وهكذا تجمع أفضل الصداقات بين تفرد القديم (الخلق) الذي يمثل الاستقرار والجذور ، مع سطوع الجديد الذي يعبر عن النمو والأمل ، كل ذلك في إطار الفضيلة الأخلاقية التي تضفي عمق العلاقة والاستمرارية. هذه الرؤية التي يقدمها التوحيدي جاءت نتيجة لتداخل العاطفة بالانفعال، فهما يشكلان العنصر الأساسي لاختياراته في هذا الكتاب. وعليه فقد تخطى التوحيدي عناصر المبالغة والتزيين اللفظي إلى أسلوب مباشر، ليحقق صدقاً إنسانياً قبل أن يكون فنياً. هذا الانفعال الموجود في الكتاب يدل على أنه كان يحمل همومًا كثيرة، وجاءت هذه الرسائل لتحويل حالته من الجلوس إلى الحماسة.

وعلى الرغم من أن التوحيدي لا يذكر لنا في البداية أن الوفاء والقلب النقي والعقل، والعلم هي صفات مهمة وأساسية لوجود صداقة حقيقية بين شخصين في أي مجتمع، إلا أننا نستنتج ذلك من خلال الحوار الذي دار بين التوحيدي وبين معلمه الفيلسوف أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني(ت ٣٨٠)هجرية يقول الطالب للمعلم: "أرى بينك وبين ابن سيار القاضي علاقة نفسية وصداقة عقلية ودعم طبيعي وتوافق أخلاقي، فما سبب هذا؟ وكيف حدث؟" رد المعلم: "يا بني، لقد اختلطت ثقتي به بثقته بي، فحصلنا على راحة وسكون يدومان ولا يتغيران. ومع ذلك، فإن بيننا توافقًا غريبًا في مواقع الكواكب والأقدار. هذا التوافق يجعلنا نلتقي كثيراً في رغباتنا واختياراتنا. أحيانًا نزور بعضنا البعض ويدعوني ليحدثني عن أمور حدثت له بعد انفصالنا، فأجدها مشابهة لأحداث جرت لي في نفس الوقت حتى كأننا نتشارك الأفكار. أحياناً أخبره برؤية حلم ثم يخبرني بحلم مشابه فنجد أنه وقع في ذلك الوقت أو قبله أو بعده بقليل.(١٠)

يسعى التوحيدي من خلال هذه الرسائل لنشر الروح الإنسانية، مما يعني أن ما يمر به يعكس روحه وطبيعته النفسية والمزاجية التي يحاول تعديلها استناداً إلى التجارب التي مر بها.(١١)

ويمثل النص الصديق الحقيقي كأنه جزءا رئيسا من جسم الإنسان، وليس مجرد شخص يمر في حياته. إنه عنصر مهم لا يمكن الاستغناء عنه، وقيمته أكبر من أي شيء مادي، إذ لا يمكن للمال أن يقيمه أو يعوضه. ووجود هذا الصديق هو هبة مهمة وضرورة للحياة، لذا يشبه النص احتياج الجسم ليده، فهو يضيف قيمة للحياة ولا يكون عبئًا عليها بأي شكل من الأشكال.

يعتبر التوحيدي الصداقة من منظور القيم، ويرتبط بها هدفان رئيسان: تحسين الأخلاق وتعزيز الجانب الديني. ومن هذا المنطلق، يصف الصديق "..كان إخوان الثقة كثيراً، فأنت أولهم، وإن كانوا قليلاً فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحداً فأنت هو " (١٢)

ويُقدّم هذا ترتيبًا واضحًا يُظهر مدى تقدير صديق مميز، فاذا كان لديك الكثير من الأصدقاء، فأنت الأكثر أهمية بينهم. · وإذا كان عددهم قليلًا، فأنت الشخص الأكثر مكانة وثقة. · وإذا كان لديك صديق واحد فقط، فأنت هو ذلك الصديق بلا شك. وبإيجاز يُعبّر النص عن أن هذا الصديق هو الخيار الأول دائمًا، سواء كنت محاطًا بالكثير من الأصدقاء أو بواحد فقط، فهو يكفي ليكون كل شيء.

ويتحدث عن قرب النفوس وبعدها وتداخل الطبائع وتلاقيها، مع تعبير صادق عن مشاعر القلوب وأفكار النفوس. إن حديث الصديق يشعر الروح بالسعادة ويؤثر على القلب أكثر من مغازلة الحبيب؛ لأن الحديث عن الحبيب يثير مشاعر الصديق بينما الحديث عن الصديق لا يزعج مشاعر الحبيب.(١٣)

كما " كتب علي بن عبيدة الريحاني البصري إلى صديق له : كان خوفي من أن لا ألقاك متمكناً ، ورجائي خاطراً ، فإذا تمكن الخوف طفيت ، وإذا خطر الرجاء حييت ".(١٤)

إن الفكرة الأساسية التي يقدمها النص هي أن اليأس المطلق المتولد عن الخوف، قادر على قتل الروح ويحول الحياة إلى فراغ. وفي المقابل فان مجرد وجود وميض من الأمل، حتى لو كان خافتًا، قادر على إحياء النفس واستعادة حيويتها. ويوضح النص كيف أن الصداقة تجسد "الأمل"، والخوف من فقدانها يمثل "الخوف"، مؤكدًا تأثير المشاعر الشديدة في الفرد، ما بين الموت الروحي والحياة.

و" حدثنا أبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي قال : كتب إلي أبو الشهم الحرمي أيام الشبيبة في خلافة المعتمد ، والزمان موات ، والعيش رفيق ، والأمل قوي ، وطائر السعد مرنق ، وغدير الأنس مُغْدَوْدِق) : ما أحوجك أيها الفتى المقتبل ، والصاحب المؤمل ، إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروة ، إذا غبت خلفك ، وإذا حضرت كنفَكَ ، وإن لقي صديقك استزاده لك من المودة ،

وإن لقي عدوك كف عنك غرب العادية) ، وإذا رأيته ابتهجت ، وإذا باثثته استرحت . قال : فأجبته ، هون عليك فليس هذا بأول متمنى فائت والسلام"(١٥)

هذا النص يتضمن تبادل رسائل أدبية راقية بين صديقين، أبو السهم الحرمي وأبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي. ويدور الحوار حول فكرة الصديق المثالي وكيفية مواجهته بالواقع. وتبدأ الرسالة في زمن السعادة والشباب، إذ يصف أبو السهم الظروف بأنها مريحة وجميلة، ويوظف تعابير مثل "غدير الأنس مغدودق" للدلالة على وفرة الخير والراحة. ويعبر أبو السهم عن حاجته إلى صديق مثالي كامل المروءة، ويصفه بطريقة تجعل من المستحيل تحقيقها: صديق مخلص يدعمه في كل الأوقات، يزيد محبة الناس له، يحميه من أذى الأعداء، ويجلب السرور والراحة عند اللقاء ومشاركة الأسرار. وعليه تعكس هذه الرسالة شوقاً رومانسياً للكمال في الصداقة. ويأتي رد القاضي عتبة على نحو مختصر وعقلاني؛ فهو لا ينكر صفات الصديق المثالي لكنه يوضح أن هذا النموذج هو مجرد حلم بعيد المنال. عبارته "هون عليك فليس هذا بأول متمنى فائت" تلخص رده، فهي تعبر عن تقبل هادئ لواقع النقص البشري وقلة وجود هذا النوع من الأصدقاء. ويرى أن البحث عن الكمال في العلاقات هيأمنية جميلة لكنها غالباً ما تكون غير ممكنة في الحياة. لذا يوازن النص بين الأمل في صداقة مثالية والواقعية التي تقبل بالنقص والفقد.

وفي الاجمال فقد وظف التوحيدي في كتابه "الصداقة والصديق" مجموعة من الأقوال الفلسفية التي تعود لفلاسفة مختلفين في أوقاتهم، ليظهر مدى معرفته الواسعة. كما أنه قدم أفكاره ومشاعره الخاصة، مما يعكس رسائل اجتماعية تهدف إلى توصيل بعض القيم الإنسانية التي تأثر بها التوحيدي من خلال تجاربه الشخصية أو مواقف عاشها. وقام بتقديم هذه الأفكار بلغة بسيطة وواقعية تحمل قيمة أدبية، مما يساعد على تنمية مشاعره الفكرية والثقافية. وهكذا استطاع أن يوصل القيم الإنسانية للقراء بطريقة واضحة وسلسة. كان هدفه تنبيه الناس على أهمية اختيار الصديق بعناية وفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية القريبة التي تحتاج إلى توافق في اللغة والفكر والوعي. ومن ثمة قدم التوحيدي رؤى إنسانية تساعد القراء على اتخاذ قرارات أفضل وتجاوز العديد من المواقف التي مر بها شخصيًا أو شهدها.(١٦)

المحور الثاني: صداقة المنفعة

تعد المنفعة مصطلحا مهما فهو "١ – مذهب المنفعة وهو يمثل اتجاهاً أخلاقيا يتخذ من منفعة الفرد والمجتمع معياراً للسلوك .

٢ كل مذهب يتخذ من الانتفاع غاية لكل عمل أو نشاط ، وبما أن تحديد الانتفاع أمر صعب وغير متفق عليه ، فإن اللفظة قد تدل على ذلك.

٣ على السعي للفائدة المادية الشخصية ، كما قد تدل على الجهد المبذول في سبيل منفعة المجتمع وأيد هذا المذهب المفكر الإنكليزي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢) "(١٧)

ولا يذكر أرسطو على نحو صريح أن الإرادة الطيبة في صداقات اللذة أو المنفعة تتطلب هذه القيود، ولكنه يصل إلى استنتاج مماثل فيما يتعلق بأصدقاء الشخصية. فهو يرى أن الأصدقاء لا يتمنون أن يصبح أصدقاؤهم آلهة؛ لأن ذلك يعني أنهم سيتوقفون عن كونهم بشراً، والصداقة تتعلق بالإنسان. لذلك يتمنون نجاحهم في إطار إنسانيتهم. وإذا كانت الرغبة في صديق الشخصية محدودة ضمن هذه الخيارات المرتبطة بإنسانيته، فإن أصدقاء اللذة والمنفعة سوف يرغبون في نجاح أصدقائهم فقط في حدود ما تتيحهتلك الخصائص المتعلقة باللذة والمنفعة التي هم أصدقاء بسببها. وتظل العناية الرئيسة لصديق المنفعة منصبة على مصلحته الشخصية، ولكن هذا لا يعني أن كل تصرف ورغبة لديه تهدف بالضرورة إلى تحقيق منفعة له.(١٨)

وعليه فإن أبا حيان التوحيدي يرى صداقة المنفعة بأنها العلاقة التي تهدف أساسًا إلى تحقيق فوائد مادية أو معنوية. وهذه الصداقة لا تعتمد على الحب بحد ذاته، بل تتأسس على المنفعة المتبادلة. إذ يسعى كل فرد للارتباط بالآخر لأنه يرى فيه وسيلة لبلوغ هدف معين، مثل طلب المساعدة أو السعي للحصول على ترقية أو تحقيق مكاسب تجارية. ويرى أرسطو أن الصفات الأساسية للصداقة تنبع من مشاعر التعاطف والمودة التي يشعر بها الإنسان الجيد نحو نفسه. ويحدد خمس علامات تميز الصداقة وكذلك الصديق. ويعتقد أن كل واحدة من هذه العلامات تعكس المشاعر التي يحملها الإنسان الجيد تجاه ذاته. (١٩) ، وهكذا ترى أن سوء ظنه بالناس لم يفقده الأمل في وجود الصديق وإن قل؛ بيد أنَّ هذا الأمل سوف يتزعزع ويختفي في مرحلة لاحقة لأسباب عديدة(٢٠)

وفي رأي التوحيدي يعد هذا النوع من الصداقة أقل قيمة من صداقة الفضيلة، لأنه يكون هشًا وسريع الزوال. وتدوم هذه العلاقة طالما توجد المصلحة، وتختفي عند زوالها أو عند ظهور مصلحة جديدة. ويصف التوحيدي هذا النوع من العلاقات بأنه أقرب إلى "صناعة" بدلاً من "علاقة إنسانية"، إذ يكون لكل تصرف هدف نفعي محدد مسبقًا. ومن الأمثلة على ذلك نجد التوحيدي يقول : " قلت لأبي سليمان: هل يلاث ما بين الصديقين، وهل يفضيان إلى هجر، وهل يفزعان إلى عتب؟ فقال: أما ما دامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية، فقد يعرض هذا كله بينهما، لكنهما يرجعان فيه إلى أس المودة، وإلى شرائط المروءة، وإلى مالا يهتك سجف

الفتوة، وأما الهجر فإن حدث حدث جميلاً، ولا مستمر الحوافز الشوق إلى المعهود، ومحركات النفس إلى التلاقي، وأما العتب فربما أصلح ورد الفائت، وشعب الصدع، ولم الشعث، والإكثار منه ربما عرض بالحقد"(٢١)

خضع هذا النص الى مراجعات مكثفة. إذ يقدم أبو سليمان حلاً عمليًا ومعقولًا للتعامل مع صراعات الصداقة.على الرغم من أنه يعترف بأن القضايا يمكن أن تنشأ في أفضل الصداقات ، إلا أنه يؤكد نقاط العلاج الحاسمة:إذ يجب أن تكون المسافة قصيرة قبل أن يعود الأصدقاء إلى قيمهم الأساسية للحب والأخلاق.ومن أجل زيادة الرغبة في الالتقاء بدلاً من القتل يجب أن تكون الهجرة قصيرة وجذابة. نظرًا لأن الكثير من النقد يولد الكراهية ، فيجب استخدامه لتعزيز التغيير وتجاوز المشكلات بدلاً من وسيلة لتعيين اللوم، ولا تنكر الصداقة الحقيقية وجود القضايا ؛ وبدلاً من ذلك توظف استراتيجيات مثل النقد والتخلي الموجز على وفق المبادئ الأخلاقية والوفاء لتعزيز الرابطة. لذا يذم ويترك ولو أتي به من آخر لكان للمتأول فيه حديث، بيد أن هذا المنحى من الاغتراب الاجتماعي – أعني بعده عن العامة – لم يؤثر فيه سلبا لكونه جاء بمحض إرادته ،على عكس المنحى الثاني المتمثل بفشله في العثور على الصديق .(٢٢)

تمت مناقشة ظاهرة الصداقة الزائفة، التي أصبحت شائعة في عصرنا الحالي، في تحليل النص مع استعراض أسبابها ونهايتها المحتومة. بحسب النص، وتعتمد بعض العلاقات على المصالح الاجتماعية أو المالية أكثر من الاعتماد على الإخلاص والمحبة، ويحدد النص سببين رئيسين: الربح المالي الذي يعني أن الهدف من الصداقة هو الحصول على مكاسب مالية، والمنفعة الاجتماعية : يعني أن الغرض هو الاستفادة من وضع أو تأثير الصديق ، ويشير الى ان هذه النوعية من العلاقات تفشل عند فقدان المصالح أو الفوائد، ويتحول الصديق المزيف إلى خصم واضح وتظهر نواياه السيئة.كما يحذر من صداقات مبنية على مصالح شخصية ومادية، ويكشف زيفها وشرها، ويؤكد أنها علاقات قصيرة الأمد وهي هشة. لذا فهو "حذر من الأصدقاء فهم حماد شامتون لذلك أوصى باتخاذ الناس معارف فحسب لأنهم لا يحافظون على الاسرار، ويحذر من عداوة إنسان لاحتمال الحاجة إليه يوما ، وأكد على ضرورة كتمان الإسرار ....الخ"(٢٣)

هذه من أبرز الأسباب التي جعلت الناس يتحدثون عنه. لقد استعمل أسلوبه في الكتابة الذي يعتمد على الجمل المتوازنة والمصنوعة، كأداة لمواجهة أعدائه، مثل الفقرة التي نستشهد بها.(٢٤)

وقال في باب آفات الصداقة :" كيف أنسك بالصديق؟ قال: وأين الصديق، بل أين الشبيه به؟ والله ما يوقد نار الضغائن والذحول في الحي إلا الذين يدعون الصداقة،وينتحلون النصيحة، وهم أعداء في مسوك الأصدقاء " (٢٥)

هنا النص يقدم صورة غير مواتية عن الصداقة ، وينكر وجود صديق حقيقي ويؤكد أنه لا أحد مثله.ويركز المفهوم الأساسي على الخيانة والعداء الذي يتنكر كصداقة.أولئك الذين يظهرون مع الصداقة ويقدمون نصيحة خاطئة يشكلون تهديدًا أكبر من أولئك الذين يعانون من خصوم ، فالنص يؤكد على أن هؤلاء أعداء متنكرين كأصدقاء.وتصبح الثقة مكلفة للغاية لأنهم يثيرون القضايا والخصومات بين الناس. ويعد النص بمثابة تذكير صارخ بأن الإخلاص الحقيقي غير شائع لذا وجب التحذير من الخيانة ووصف الصداقة بأنها "مظهر بدون جوهر" والاعتماد على مشاركة المزايا العابرة.

وتظهر الحقيقة المريرة إذا توقفت هذه المزايا ، ويصبح الصديق عدوًا يكشف الكراهية التي كان يخفيها.ومن ثمة يقدم النص تحذيرًا واضحًا ضد الخداع بظهور وعلاقات واهية ، مع التركيز على الحاجة إلى التمييز بين الصدق والخداع ، وكذلك بين الأشخاص الذين يريدونك من أجل مصلحتهم وأولئك الذين يريدونك من أجلهم؛ إنها دعوة للتحرر من وهم المصالح المؤقتة وتأسيس صداقات قائمة على أسس قوية وصادقة.

"وقال ابن دريد منشداً:

إن كنت تجعل من حَبَاك بوده ظهر البعير فثق بأنك عاقره
من ذا حملت عليه كلك كلها الا اشماز فظن أنك حاقره
كلف جوادك ما يطيق فبالحري أن يستقل بما تطيق حوافره "(٢٦)

تشدد هذه الأبيات على أهمية التوازن في مدى الاعتماد على الأصدقاء والأحباء، محذرة من أن إثقال كاهلهم بالمشاكل والضغوط النفسية قد يؤدي إلى إنهيار العلاقات وفسادها. والشخص الذي يضع على عاتقه مسؤوليات جسيمة من دون مراعاة مشاعر الآخرين فإنه قد يشعر بالضيق أو حتى بالاستياء، وقد يراه البعض مستغلاً أو غير مقدر لهم. لذا يجب على المرء مطالبة الآخرين بما يقدرون عليه فقط، أي أن يسأل ضمن حدود طاقتهم، وذلك لضمان دوام المحبة والعطاء.

"وقال الشاعر:(٢٧)

وقل الذي يرعاك إلا لنفسه وللنفع يعتد الصديق معده

يعكس هذا البيت رؤية فلسفية متشائمة وواقعية قاسية للعلاقات بين البشر، إذ يقر الشاعر بندرة الوفاء والإخلاص، وأن العناية بالذات هي السائدة في تعامل الناس مع بعضهم البعض. فالشخص عادةً ما يعتني بصديقه ويعتني به فقط عندما يرى في ذلك فائدة شخصية، فيتحول الصديق إلى وسيلة للاستغلال وتحقيق المصالح الذاتية بدلًا من أن يكون مقصودًا لذاته. ويمكن عدّ هذا البيت بمثابة نقد اجتماعي لاذع يصور انحدار قيم الصداقة في زمن الشاعر، محذرًا من المبالغة في الثقة، ومؤكدًا على أن الحب والمودة غالبًا ما ينظر إليهما على أنهما استثمار مؤقت يزول بزوال الحاجة.

المحور الثالث: صداقة المتعة

تعرف المتعة في اصطلاحاً في المعجم الأدبي بأنها

" ١–مذهب المتعة القائل بأن اللذة أو السعادة هي الخير الأوحد أو الأساسي في الحياة ، ويدعو إلى تحاشي الألم.

٢ – ظهرت المتعيّة أصلاً لتمثل تياراً مغايراً لتيار الإبيقورية ، وتقر موقفاً من الحياة تتخذه جماعة من المثقفين المنادين باللذة المادية وحسب ، في حين أن الإبيقورية مع مبدأ اللذة ، قد اعتنقت نظرية منطقية ولائقة بالكرامة الانسانية "(٢٨). وتُعرف صداقة المتعة بأنها العلاقة التي تنشأ عندما يقضي الأصدقاء أوقاتًا ممتعة معًا ويشاركون في أنشطة ترفيهية وهوايات ، وتعتمد هذه الصداقة على المتعة والمرح ، وليس لديها أساس عاطفي قوي أو التزام حقيقي بين الأفراد. وعلى الرغم من تشاؤم التوحيدي في نظرته للصديق فهو لم يبالغ مبالغة غيره من العلماء والأدباء على الأقل في هذه المرحلة من عمره.(٢٩) ، لذلك تتميز هذه العلاقة بأنها غالبًا ما تكون سطحية وتقتصر على الظروف الحالية، إذ تميل إلى الانتهاء عندما تتوقف الأنشطة المشتركة أو تتغير الظروف التي جمعت بينهم. ويبدو أن فكرة تغيير القناعات والأفكار العميقة هي جزء أساسي من الفلسفة التي تعتمد على نقد المعارف المطلقة وإظهار عيوبها وأوهامها. لذلك فإن التفكير الفلسفي يكون نقدياً في جوهره، ولا ينجح إلا إذا استطاع الفيلسوف القيام بنقد شامل لكل المعارف الموجودة ليصل إلى رؤية خاصة عن الإنسان والعالم.(٣٠)

وبناء على ذلك قال التوحيدي في باب عوارض الصحبة :" بئس الصديق صديق تحتاج معه إلى المداراة، وبئس الصديق صديق تحتاج أن تقول له: أذكرني في دعائك، وبئس الصديق صديق يلجئك إلى الاعتذار."(٣١)

في هذا النص وبرؤية فلسفية تم تسليط الضوء على الخصائص التي تلحق الضرر بالعلاقة وتتسبب في فقدان معناها الحقيقي في الوصف السلبي للصداقات الثلاثة ، فالصداقة الحقيقية

تتطلب الراحة والعفوية. فإذا كنت تشعر بأنك مضطر لاتخاذ قرارات أمام صديقك بدافع القلق بسبب غضبه أو سوء الفهم ، فلا يوجد سلامة وثقة كافية في العلاقة.و صديق الصديق هو صديق يحتاج إلى أن يقول له: تذكرني في دعوتك": صديق مخلص لا يحتاج إلى مطالبة بتقديم الدعاء لصديقه ؛ وفعل تقديم الدعاء هو عفوي وجزء طبيعي من المودة الحقيقية. لذا انها علامة على أن أحد الأصدقاء قد نساك أو لا يحبك بما يكفي لتجعلك تفكر عندما يتعين عليك طلب المساعدة.وإن قول "صديق الصديق هو صديق لجأ إلى الاعتذار" يشير إلى حقيقة أن الصديق الحقيقي هو الشخص الذي يقبل أوجه القصور الخاصة بك. هذه الصفات الثلاث تقوض الطبيعة الأساسية للصداقة وتحولها إلى عبء بدلاً من أن تكون مصدر الدعم. وما يؤكد هذه الدعوة هو ما أراده التوحيدي من حيث التأكيد على عدم الاستقرار والحاجة إلى التوضيح عن قيمة الذي نكره. ففي النص نجد لغة قوية مبنية على المقارنة والتناقض مع تحليل الاختلافات الأساسية بين صديق حقيقي وصديق للسرور بوضوح.(٣٢)

إنَّ المتتبع للنص الذي وظفه التوحيدي يجده قد مر بتجربة مريرة بهذا المجال، إذ لقى رفضاً من أحد أصدقائه أوعدم العناية بقضاء حاجته ، لذا كان هذا القول أقرب إلى أن يكون رسالة شديدة اللهجة من التوحيدي إلى أحد أصدقائه بقصدية مباشرة خلت من التأويل ، لتأكيد شدة التجربة وصعوبتها على التوحيدي الذي وجد أن هذا الصديق ناكر لهذه العلاقة الوطيدة.(٣٣) ، وعليه يمكن القول أن الصداقة والصديق نموذج متكامل يصور عمق الاغتراب الاجتماعي عنده، من ازدراء وإبعاد لطبقة العامة لكونهم دونه ثقافيا، وقد أشار إلى صنف من هؤلاء العامة بالذم والسخط (٣٤) ، وتظهر الطبيعة الخادعة لهذه الصداقة خلال أوقات الصعوبات "إذا نزلنا معك"، ويصبح هذا الصديق "الأكثر بُعدًا منك" ، كما لو كانت سفينة هلكت في العاصفة الأولى. هذا هو المكان الذي توجد فيه الحقيقة المؤلمة ، ويتم تحديد التعريف الحقيقي للصداقة من خلال هذا التباين الصارخ: الصديق الحقيقي هو شخص يدعمك خلال أحلك لحظاتك بدلاً من الشخص الذي يضحك معك ، كما تم التأكيد على نقطة أساسية وهي تتعلق بقيمة الصداقة من خلال قدرتها على تحمل المصاعب بدلاً من قدرتها على جلب السعادة.

وقال في موضع آخر " أخلص الإخوان مودة من لم تكن مودته عن رغبة ولا رهبة "(٣٥)

يركز النص على صدق نوايا العلاقة ويقدم تعريفًا مختصراً وعميقاً لأفضل الصداقات والأكثر صدقًا.

وقال كذلك " أخبرنا علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح ، حدثنا ابن دريد قال : صديق الرخاء أنشدنا عبد الأول لرجل من بني تميم"(٣٦)

كـــم مـــن أخٍ لســـتَ تُنْكِـــره	مادمـــت مـــن دنيـــاك فـــي يُسْـــرِ
مُتَصـــنع لـــك فـــي مودتـــه	يلقـــاك بالترحيـــب والبشـــر
يطـــري الوفـــاء وذا الوفـــاء	ويحلـــى الغـــدر مجتهـــداً وذا الغَـــدْرِ
فـــإذا عـــدا والـــدهر ذو غيـــر	دهـــر عليـــك عـــدا مـــع الـــدهر
فـــارفض بإجمـــال مـــودَّةَ مَـــنْ	يَقْلِـــي الْمُقـــلَ وَيَعْشـــق الْمُثْـــرِي
وعليـــك مَـــنْ حَـــالاَهُ واحـــدة	فـــي العشـــر امـــا كنـــت واليســـر
لا تخلطـــــــنهم بغيـــــــرهم	مـــن يخلـــط العقبـــان بالصـــفر

هذا النص الشعري يقدم دراسة نقدية قوية عن ظاهرة صديق الرخاء الذي يبدو أنه مخلص ويعامل صاحبه بلطف وابتسامة طالما أن لديه المال والرفاهية. ويكشف الشاعر أن هذا الصديق ليس صادقًا، فهو يظهر الولاء علنا ولكنه في الحقيقة يميل إلى الخيانة. وتتضح الحقيقة عندما يمر الوقت ويواجه الصديق الحقيقي صعوبات، إذ يتحول هذا الصديق المزيف ليبتعد عنه بدلاً من دعمه، مما يبرز طبيعته الانتهازية. وينهي الشاعر النص بنصيحة مهمة تدعو إلى الابتعاد عن أي شخص يحتقر الفقير ويحب الغني، مشددًا على أهمية اختيار الأصدقاء الذين يبقون مخلصين في كل الأحوال. وتأتي الخاتمة بتشبيه قوي يؤكد ضرورة التمييز بين هؤلاء الأصدقاء المزيفين وغيرهم، كما لا ينبغي خلط الذهب النقي بالنحاس أو الزيف.

ويحدد كل هذا البيان الهدف ، وهو العثور على صديق أصيل يُعرّف الحب الصادق بأنه نقي تمامًا ولا يقبل أي شوائب . ويؤسس النص لمعايير يتم من خلالها تقييم الصداقة الحقيقية ؛لان الرغبة هي مصدر المودة للأشخاص الذين يعتمدون على المكاسب المادية أو المصالح الشخصية.هذا النوع من الأصدقاء يظهر لك الود لأنه يريد الحصول على شيء منك ، هذه علاقة عابرة تنتهي عندما تتلاشى المتعة والمودة التي تنتج عن "الرهبة" تتوقف على الشك في العقاب أو الإصابة.فضلا عن أن هذه العلاقة واهية وضعيفة وتنتهي عندما يكون مصدر الخوف في الأساس ، ويخبرنا النص أن الصديق الحقيقي هو الشخص الذي يحبك كشخص ، وليس لما لديك أو ما قد تخاف منه. وطبيعة الصداقة النقية هي مصدر عاطفتها ، مما يجعلها دائمة وغير قابلة للتغيير.ويبدو أن فكرة تغيير القناعات والأفكار الثابتة هي جزء أساسي من الفلسفة، التي تعتمد على نقد المعارف المطلقة وبيان عيوبها وأوهامها. لذا يكون التفكير الفلسفي نقديًا في جوهره، ولا ينجح إلا إذا استطاع فيلسوف معين أن ينقد جميع المعارف المتاحة ليصل إلى رؤية خاصة عن الإنسان والعالم.(٣٧)

المحور الرابع: صداقة المصادفة

تعرّف المصادفة في الفكر الفلسفي بانها " كل دخيل على التوازن والنظام في حدود ما يتركه ذلك في نفوسنا من استشعار بالفجاءة والتلقائية والجدة . وبهذا المعنى تصبح المصادفة وجهة جديدة تتخذها وجدانياتنا إزاء موقف معين. ويحلو لكثير من العلماء والمفكرين المشايعين لهذه الدلالة الخاصة للمصادفة أن يتمثلوا بأمثلة من التاريخ أو القصص لتأكيد وجهة نظرهم هذه"(٣٨) ، فالصداقة التي يتم إنشاؤها وصيانتها بسبب الأحداث العابرة أو التأثيرات الخارجية بدلاً من اتفاق حقيقي على المبادئ أو القيم أو الأهداف تعرف بأنها صداقة من الصدفة، مثل الصداقات التي تشكلت بين زملاء العمل أو زملاء الدراسة ، وتنتهي عندما يتخرج الشخص أو يتوقف عن عمله ، ويعتمد على مصلحة مشتركة أو حاجة خاصة ، فقد تدوم أطول ولكن تبقى ضعيفة ؛ وعندما تنتهي هذه الفائدة تتدهور العلاقة أو تنهار. وصداقة الصدفة واهية وتتلاشى بسرعة ، على عكس الصداقة الحقيقية التي تأسست على الاحترام والثقة.

لذا قال أبو حيان التوحيدي في باب الوحدة والصحبة بمنظور فلسفي:" وأصبر حتى أوجعتني المغائظ آخر : ولي صديق عدمت عقلي ... إن قلت: إني له صديق ما نلتقي في الزمان حتى ... يجمع ما بيننا الطريق."(٣٩)

يقدم النص صورة لصداقة محبطة ومؤلمة، تجعل الشخص الأول يشعر بالتعب وخيبة الأمل. فهو يصف معاناة شخص يبذل جهدًا بمفرده في العلاقة · ويتحمل المتحدث كل ما يثيره صديقه من استفزاز وغضب، لكن هذا الصبر لا ينفع بل يتحول إلى وجع نفسي عميق، فالصداقة التي تكون من طرف واحد هي ليست حقيقية. حتى عندما يسمي المتحدث الطرف الآخر "صديق"، فإنه لا يشعر بأن هذه الصداقة متبادلة أو صادقة. واللقاء العشوائي أكبر دليل على فشل هذه الصداقة ، فلقائاتهما تحدث فقط بالصدفة عند تقاطع الطرق، وليس نتيجة لرغبة أو مبادرة من الصديق للحفاظ على العلاقة. وباختصار تعكس هذه العلاقة اسمًا بلا معنى، إذ تفتقر إلى أبسط أساسيات الصداقة الحقيقية مثل العناية المتبادلة والمبادرة والرغبة في البقاء على تواصل.

وقال في موضع آخر :" وإذا المودة أشبك الأنساب آخر: كم صديق عرفته بصديق ... كان أحظى من الصديق العتيق ورفيق صحبته في طريق ."(٤٠).

يقدم القسمان فهمًا شاملاً لأهمية الصداقة كعلاقات اختيارية تتجاوز العلاقات العائلية ، ويؤكد المقطع الأول أن المشاعر الإيجابية والإخاء التي نختارها يمكن أن تكون أكثر عمقًا وقوة من الروابط العائلية ؛ لأن الصداقة الحقيقية تأسست على الحرية والاختيار ، فإن لها قيمة فريدة تتجاوز أحيانًا السندات التي يتم إجبارها علينا عند الولادة. وان الوقت لا يحدد قيمة الصداقة ،

أما في القسم الثاني فإنه يتساءل عن الحكمة التقليدية التي تفضل الأصدقاء منذ فترة طويلة، ويوضح أن الصديق الجديد الذي نجعله بالصدفة أو من خلال صديق آخر يمكن أن يكون أكثر ثراءً وأكثر أهمية من الصديق القديم.ويشير النص إلى أن بعض الصداقات التي لا تقدر بثمن قد تبدأ بمواجهات غير رسمية.وفي الختام يتم تحديد القيمة الحقيقية للصداقة من خلال جودتها بدلاً من طولها أو طبيعتها.والصداقات الجديدة أو القديمة التي تأسست على مشاعر حقيقية وإرادة حرة أكثر قيمة من الشراكات طويلة الأجل ويمكنها أن تتفوق على العلاقات العائلية.وعليه تؤثر العوامل الاجتماعية على النشاطات الإنسانية والاجتماعية، مثل الأفعال التي تحدثها التكنولوجيا. ومع ذلك فإن الفعل التواصلي له طابع خاص يحدد العلاقات بين الناس، ولا يمكن اختزاله فقط إلى تبادل المعلومات أو البيانات باستعمال اللغة.(٤١)

المحور الخامس: صداقة التقية

إن التقية في المنظور الفلسفي هي أنَّ "التقوى جزء من العدل"، محاولة "سقراط" وضع الدين على أساس الأخلاقية؛ فهو يسعى إلى تحقيق حالة من الانسجام بين الدين والأخلاقية" (٤٢) ، فصداقة التقوى هي علاقة تخفي مظاهر الحب والود ومشاعر العناية أو الخوف.والفرد في هذا النوع من العلاقة يتوافق مع الآخر ليس لأنه يؤمن بالصداقة ولكن لتجنب الخطر أو اكتساب ميزة شخصية. ويمكن للناس أن يحبوا أصدقائهم من أجلهم، حتى لو كان هذا الحب يحتوي على رغبة تخص الشخص نفسه. وهذا لأن الحب الأساسي لشخص ما بسبب شخصيته يشير إلى الشخص الذي يحب. ومع ذلك يمكن لهذا الشخص أن يفكر في رغبات الآخرين كما لو كانت رغباته. لذا يمكننا تجنب التناقض الذي يبدو موجودًا في "ليسيس" عندما نتحدث عن علاقة الصداقة بين الإنسان ونفسه بطريقة بسيطة.(٤٣)

فالحديث عن " الصداقة على كرم العهد ،وبذل المال ، وتقديم الوفاء ، وحفظ الدمام ، وإخلاص المودة ، ورعاية الغيب ، وتوقُّرِ الشهادة ، ورفض المودة ، وكظم الغيظ ، واستعمال الحلم ، ومجانبة الخلاف ، واحتمال الكل ، وبذل المعونة ، وحمل المؤنة ،وطلاقة الوجه ، ولطف اللسان ، وحسن الاستتابة والثبات على الثقة ،والصبر على الضَّرّاء ، والمشاركة في البأساء ، والعلاقة وإن كانت تستعير من هذه الأبواب شيئاً فليس ذلك لأنه من عتادها وأساسها ، ولا ما لا يتم إلا به ، ولكن من أجل التحسن والتزين ، وهذا الذي قاله هذا الشيخ كلام قصد ، قريب ، سليم ، مقبول ، ولسنا نتعقبه بنقص ولا تقدح فيه باعتراض ، لأن العاشق والمعشوق ليسا من الصديق والصديق ، وإن كانوا يتشابهون ببعض الأخلاق ، ويتلاقون في بعض الأحوال

، فليكن هذا الرسم كافياً محفوظاً ، فإن المغالطة قد تقع في هذا كثيراً ، والإنصاف يقوم عليه دائماً"(٤٤)

هناك تناقض واضح في وضع الإنسان في هذا العالم،من جهة خُلق الإنسان بطبعه كائنًا اجتماعيًا ويحتاج إلى صديق، ومن جهة أخرى فانه يواجه صعوبة في العثور على صديق حقيقي. هذه هي المشكلة التي أراد التوحيدي تسليط الضوء عليها والبحث عن حل لها. على الرغم من أنه وظف الكثير من الاقتباسات على نحو عشوائي ومن دون تنظيم منطقي، إلا أنه يتضح أن هناك ثلاثة مواقف رئيسة في الكتاب تتعلق بمفهوم الصداقة والأصدقاء على نحو عام. بينما تشير المواقف الأخرى إلى قضايا فرعية، مثل الفرق بين الصداقة وأنواع العلاقات الإنسانية الأخرى، أو صداقة المتشابهين والأضداد، أو أهمية عدد الأصدقاء سواء كان كثيرًا أم قليلًا، أو مسألة من هو أفضل الأصدقاء.(٤٥)

إذ تستند صداقة التقوى إلى توخي الحذر والمصالح لأن أحد الناس يخفي مشاعره وأفكاره الحقيقية من أجل حماية الآخرين ، مما يضعف العلاقة ويؤدي إلى تحطيم العلاقة.

كما في قول التوحيدي:"خذ بأيدينا فقد عثرنا، واستر علينا فقد أعورنا، وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب، وتنقى الجيوب، حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على الخير، مؤثرين للتقوى، عاملين شرائط الدين آخذين بأطراف المروءة، آنفين "(٤٦)

فهنا الاعتراف بالضعف وطلب المساعدة يعني أن نعترف بأخطائنا ونطلب الدعم والتستر على عيوبنا.

والسعي لعلاقات طيبة يأتي عبر الدعاء من أجل علاقات إنسانية تساعد على صفاء القلوب وتنقيتها من الكراهية. ويجب أن يكون الهدف من هذه العلاقات هو التعاون على فعل الخير، والابتعاد عن المعاصي، والعمل على وفق تعاليم الدين وأخلاقه الحميدة. فالدعاء يجمع بين الاستغاثة بالله لتحسين الوضع الشخصي والاجتماعي، مع السعي لبناء مجتمع قائم على الألفة والأخلاق العالية.

وكذلك قال التوحيدي: " وأما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم فربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى، وتأسيسها على أحكام الحرج، وطلب سلامة العقبي.." (٤٧) .

هذا النص يوضح أن الفلسفة الدينية للصداقة الحقيقية والنادرة هي تلك التي تستند إلى أسس قوية من التقوى والدين. والأشخاص المتدينون على الرغم من قلة عددهم، تكون صداقاتهم نقية وخالية من المصالح الدنيوية ، بل هي مبنية على تقوى الله وتجنب كل ما قد يؤذي أو يحرج الآخر. كما تهدف إلى التعاون في طاعة الله والسعي للسلامة والنجاة في الآخرة. هذه الأسس

الثلاثة (التقوى، تجنب الأذى، العمل للآخرة) تضمن صفاء الصداقة واستمرارها وتجعلها علاقة لا تتأثر بالمصالح العابرة.

إن الفكرة التي عرضها التوحيدي من خلال طبيعته الأدبية وتاريخه توضح أن الإطار الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية خارج المجال الجمالي تؤدي دوراً في تأسيس المعايير وتعديلها، لأنها تساعد على تغيير نظرة الجمهور، مما يؤدي إلى وعي جديد.(٤٨).

وكذلك " قال أبو العتاهية : قلت لعلي بن الهيثم : ما يجب للصديق ؟ قال : ثلاث خلال : كتمان حديث الخلوة ، والمواساة عبد الشدة ، وإقالة العثرة"(٤٩) ، فالنص هو حوار قصير ومؤثر بين أبي العتاهية وعلي بن الهيثم، يركز على الصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الصديق الحقيقي. وقدّم ابن الهيثم إجابة حكيمة تلخص أسس الصداقة الدائمة، والتي تتكون من ثلاثة أركان متكاملة. أول ركن هو كتمان حديث الخلوة، والذي يدل على الثقة والأمانة؛ إذ يجب على الصديق الحفاظ على أسرار صديقه وما يدور بينهما في الأوقات الخاصة، وهذا أساس الاطمئنان والحديث المفتوح. والركن الثاني هو المواساة في الأوقات الصعبة، وهذادليل على الوفاء والإخلاص؛ إذ تُختبر العلاقة الحقيقية خلال الأزمات والصعوبات، وينبغي أن يكون الصديق عوناً وسنداً وقت الحاجة وليس فقط في الأوقات الجيدة. وأخيرًا ذكر إقالة العثرة التي تعكس قيمة التسامح والعفو؛ فهي تعني تجاوز الأخطاء من دون قطيعة أو لوم قاسي. هذا الركن يضمن بقاء الصداقة ويحميها من الانهيار بسبب طبيعة البشر غير المثالية. ويعتمد أسلوب النص على الإيجاز والتركيز الحكيم، مما يجعل هذه الخصائص الثلاث قاعدة ذهبية سهلة الفهم والتطبيق للحفاظ على الصداقة.

وفي الاجمال لم يتعامل التوحيدي مع موضوع الصداقة بطريقة علمية. ولم يقدم مقدمة تتبعها تقسيمات واضحة أو نتائج ملحوظة مثلما فعل أرسطو. ولم يكتب حوارًا عن الصداقة يتناول فيه آراء الآخرين ومعتقداتهم كما فعل أفلاطون. بل فضل جمع كل ما سمعه أو قرأه عن هذا الموضوع منذ العصر الجاهلي حتى القرن العاشر.(٥٠) ،وكل النصوص توضح أن الصديق المتقي هو في الواقع مساعدة على الطاعة ووسيلة لفهم الأمور على نحو أفضل. فهو يمتلك صفات الصديق الحقيقي مثل كتمان الأسرار، والمواساة، ومساعدة الآخرين في الأوقات الصعبة. فضلا عن امتلاكه للدافع الديني الذي يجعله أميناً في تقديم النصيحة ومخلصاً في توجيه الأصدقاء. هذه الصداقة توفر بيئة آمنة تعزز الثقة والأمان، وتساعد على مواجهة تحديات الحياة وتقلباتها.

المحور السادس: صداقة الروح

عُرفت الروح في المعجم الأدبي بأنها " الروح في المعجم الادبي هي مابه حياة الانفس او النفس الناطقة وهي جوهر مجرد يسير البدن

١- نسمة تبعث الحياة ، وتحرك المادة

٢- ملكة مفكرة في الإنسان

٣- قسم غير مادي من الانسان وهو المرتبط بالإحساس ، والعاطفة ، والفِكْر في مقابل الجسم"(٥١)

وتعد صداقة الروح في الأدبيات الفلسفية والعلاقات الإنسانية نوعًا خاصًا من العلاقات يتجاوز الروابط التي تعتمد على المنفعة أو المتعة. إنها علاقة عميقة تقوم على التوافق الأساسي في القيم والأخلاق بين شخصين. وقد أدى تصور أرسطو للصديق على أنه "كذات أخرى" إلى التفكير في مسألة حب الذات. هل يجب على الشخص أن يحب نفسه أكثر من أن يحب الآخرين؟ ويُعتقد عادة أن الشخص السيء يقوم بكل شيء بدافع الأنانية، بينما يُفترض أن الشخص الجيد يتصرف على وفق مبادئ سامية ويضع مصلحة صديقه فوق مصلحته الخاصة. ومع ذلك فان الصديق الأفضل هو من يتمنى الخير لصديقه من دون أي مصلحة شخصية، ولا يحقق أحد هذا الشرط كما يحققه الإنسان تجاه نفسه. فكما يتضح فإن جميع المشاعر الطيبة التي يشعر بها الإنسان نحو الآخرين هي في الحقيقة امتداد لمشاعره نحو ذاته. وعلامات الصداقة تنطبق على الذات، لذا يعد الإنسان أفضل صديق لنفسه، مما يعني أنه يحب نفسه أكثر. ويتساءل أرسطو عن أي من هذين الرأيين يجب أن نتبناه عملياً؟(٥٢)

إن الأنموذج الذي تحدده المعايير ينظم الفعل، ولا يتعلق بسلوك أفراد يلتقون صدفة بأشخاص آخرين في بيئتهم. بل يشير إلى سلوك أعضاء في جماعة اجتماعية يعملون معاً بقيم مشتركة. ويتصرف الفرد على وفق معيار محدد، وهذه المعايير تعبر عن اتفاق يتم التوصل إليه داخل جماعة معينة. والفكرة الأساسية لموافقة الأفراد على المعيار هي الالتزام بتوقع سلوك معين. وهذا السلوك لا يعني فقط توقع حدث محدد، بل يشمل المعنى المرتبط بتوقع الأعضاء لسلوك معين.(٥٣)

هذه الصداقة تعد في الكثير من الأفكار الفلسفية أرقى أشكال التواصل الإنساني، فهي تساعد على تعزيز الذات وتقرب الفرد من تحقيق قيمه الأخلاقية وفهم الحقائق الوجودية.

لقد قال أبو حيان التوحيدي في باب حقيقة الصداقة: "وهم إذا ذكر الصديق أعادي وسمعت ابن بابويه القمي العالم يقول: قال جعفر بن محمد: مناغاة الصديق أعبث بالروح، وأندى على الفؤاد من مغازلة المعشوق، لأنك تفزع بحديث المعشوق إلى الصديق"(٥٤) .

فالنص الفلسفي يعبر عن عدم الرضا عن الأصدقاء ، في حين أن الثاني يضع الصديق أولاً ويفضله على الحبيب. "وإذا ذكروا الصديق ، وهو مناسب" ، ينقل النظرة ، فإن حديث الصديق هو أكثر تأثيراً للروح من حديث الحبيب. ويشير في هذه الاستعارة الساحرة إلى أن الصديق يريح القلب الندي ويعيده للحياة ، كما اننا قد نواجه العلاقة مع المعشوق صعودًا وهبوطًا ، وكذلك القلق وعدم الاستقرار ،وهذا يدل على أن الصداقة هي الرابطة العاطفية الأكثر أمانًا واستقرارا.ويمكن للمرء معرفة أن النص يوضح كيف أن الصداقة هي مفهوم متعدد الأوجه.

وقال في موضع آخر : " إن الأخ إذا لم يكن صديقاً فهو نسيب الجسم، والصديق وإن لم يكن أخاً فهو نسيب الروح." (٥٥)

يقدم هذا النص شرحًا لفلسفة الصداقة والأخوة ، مما يدل على مدى اختلافها .وعلى وفق ما يقوله النص ، إذا لم يكن الأخ صديقًا ، فاننا نرى انها علاقة دم وقرابة جسدية. ويولد هذا النوع من العلاقة

مع شخص وليس شيئًا يختارونه.إنه مجرد رابط إذا لم يتم تضمين رابط الصداقة الذي تم تأسيسه على الحب والود.والصداقة هي علاقة اختيارية تنتج عن الانسجام الروحي ، والصديق – إن لم يكن أخًا – قريب من الروح.وقد تكون هذه الرابطة الروحية (بالقرب من الروح) في بعض الأحيان أقوى من رابطة صلة الدم لأنها تحدد شخصين على أساس الحب غير المحفوظ والفهم العميق.

وقد " قيل لاعرابي : أبا لصديق أنت أنس أم بالعشيق ؟ فقال : يا هذا الصديق لكل شيء ، للجد والهزل ، وللقليل والكثير ، ولا عاذل عليه ،ولا قادح فيه ، وهو روضة العقل ، وغدير الروح فأما العشيق فإنما هو للعين ، وبعض الريبة ، والعذل إليه من أجله سريع ، وفي الولوع به إفراط مزجورٌ عنه ، وحد موقوف دونه ، فأين هذا من ذاك " (٥٦) ؟

هذا النص يقدم مقارنة حاسمة قام بها أعرابي بين الصديق والعشيق، فهو يرفع قيمة الصداقة إلى أعلى المستويات ويخفض من شأن العشق إلى مجرد عناية مؤقتة تتطلب الحذر. وبدأ الأعرابي بالإعلان عن دعمه الكامل للصديق، واصفاً إياه بأنه يمثل كل شيء، فهو يشمل جميع جوانب الحياة سواء كانت جدية أو هزلية، وأهم ما يميز الصداقة هو أنها علاقة نقية لا يشوبها أي لوم أو نقد. ويوظف الأعرابي تشبيهات قوية ليصف الصداقة بأنها "روضة العقل وغدير

الروح"، مما يعني أنها مصدر للنمو الفكري والراحة النفسية والنقاء الروحي. وبالمقابل يرى الأعرابي أن العشيق هو مجرد جذب بصري، مرتبط بالمظهر والشهوة، ويحتوي على "بعض الشك"، مما يجعل صاحبه عرضة للوم الاجتماعي بسرعة. ويرى ان الولع بالعشيق فيه افراط ويجب تجنبه، وله حدود يجب احترامه، مما يدل على طبيعته المؤقتة المليئة بالتحفظات الاجتماعية والأخلاقية. وفي النهاية يؤكد الأعرابي على الفارق الكبير بين الصديق (الذي يمثل الكمال والجوهر والديمومة) ، والعشيق (الذي يمثل السطحية والقلق والتقييد)، ويتساءل باستنكار: "فأين هذا من ذاك؟".

وكذلك نجد قول "رجل لشبيب بن شَيْبَة : إني لأخلص لك الثقة ، وأصفي لك المودة ، قال شبيب : أشهد على صدقك وعلى صحة ودك ، قال : وكيف تشهد [على غيبتي] وليس معي من الشاهد إلا قولي ، قال : لأنك لست بجار قريب ، ولا ابن عم نسيب ، ولا مشاكل في صناعة فنسترك أسباب المحاسدة"(٥٧) .

هذا النص هو حوار قصير لكنه عميق بين رجل وشبيب بن شيبة حول معيار صدق المودة في العلاقات الإنسانية. ويعبّر الرجل عن إخلاصه وصدقه تجاه شبيب، فيرد شبيب بتصديق سريع، مما يجعل الرجل يتساءل عن سبب هذا التصديق الغيبي. ويوضح شبيب فلسفته العقلانية في تقييم صدق العلاقة التي تعتمد على عدم وجود أسباب للحسد أو المنافسة. ويرى شبيب أن صدق هذه المودة مؤكد، لأن الرجل ليس جاراً قريباً (مما قد يؤدي إلى نزاعات الجيرة)، ولا ابن عم (فتحدث بينهما منافسة على المجد العائلي أو الميراث)، ولا زميل عمل (فتظهر بينهم مشاعر الحسد بسبب الرزق أو الشهرة). لذلك يقرر شبيب أن غياب دوافع الحسد والمنافسة بينهما هو الدليل القوي على أن هذه المودة حقيقية وصادقة، وليست مزيفة أو مرتبطة بمصلحة خفية، مما يجعل حكمه على صدق الرجل مبنياً على منطق نفي الدوافع السلبية وليس على العاطفة فقط.

وقال التوحيدي : " وسمعت أبا عامر النجدي يقول : الصديق من صَدَقَكَ عن نفسه لتكون على نور من أمرك ، ويصدقك أيضاً عنك لتكون على مثله ، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء ، في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، فليس لكما فرحة ، ولا ترحة ، إلا وأنتما تحتاجان فيها إلى الصدق والانكماش ، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش"(٥٨) .

يفسر أبو عامر النجدي مفهوم الصديق الحقيقي على نحو فلسفي عميق، إذ يعتمد على مبدأ الصدق المتبادل والمشاركة الكاملة. ويبدأ بالإشارة إلى أن الصديق هو من يشاركك حقيقته ليكون لديك فهم واضح عنه، وهو من يخبرك بصدق عن نفسك، أي يقدم لك نصائح بشأن نقاط قوتك وضعفك لتكون واعياً بذاتك. هذا التبادل الصادق يؤسس لفكرة مشاركة الأحوال، إذ تتجاوز

الصداقة اللحظات العابرة لتشمل جميع جوانب الحياة: في الأوقات الجيدة والسيئة، وفي الفترات الصعبة والمريحة. ويؤكد النص على أن هذه العلاقة الكاملة في كل فرحة وحزن تحتاج إلى صدق كامل واجتهاد ومساعدة فعالة لتحقيق النجاح والرزق في الحياة، مما يعني أن الصداقة ليست مجرد مشاعر بل هي شراكة عملية وحياتية تستند إلى الوضوح والدعم المتبادل.

وعلى وفق ما تقدم يمكن القول إن اختيارات أبي حيان التوحيدي اعتمدت على أسس اجتماعية أسهمت في وجودها بالأدب، وذلك من خلال محاولاته تقديم رسائل إلى المجتمع بأسلوب أدبي، أي تحويل اللغة العامية إلى لغة أدبية ممتعة، بهدف جذب الجمهور أو المجتمع للاستفادة منها. وهكذا، حاول التوحيدي تقديم رؤى اجتماعية بأسلوب أدبي، وهذه الرؤى هي بمثابة رسائل عامة تقدم فائدة من خلال نشر التجارب المفيدة للمجتمع.(٥٩)

وتظهر مختارات التوحيدي في كتابه "الصداقة والصديق" فهماً عميقاً للغة، إذ تأخذ القارئ إلى التركيز على مضمون الحوار بدلاً من الجمل الفردية. وهذا يخلق عناية بالسياق الذي يتم فيه الكلام. وبذلك تحمل هذه الرسائل مقاصد المتحدث وتحدد الخصائص الأساسية التي تجعل الخطاب متميزاً. هذا الترابط بين أجزاء النص يعزز وعي المتلقي وإدراكه لما يتضمنه الخطاب، مما يزيد من قيمة النص وسموه، ويؤكد تماسكه الداخلي. فضلا عن ثراء اللغة المستعملة من الكاتب مما يبرز الطابع الأدبي للنص ويظهر تأثيره في المتلقي من خلال مشاعره. وعندما اختار التوحيدي هذه الرسالة لاستخدامها في كتابه، كان تفاعله مع النص دليلاً على أهمية لغة الكاتب في اختيار المحتوى. لذلك تكشف هذه الرسالة عن استعمالات متنوعة للغة في كتاب "الصداقة والصديق"، مما يجعلها تعبيراً فنياً يحمل قيماً أدبية. ومن هنا كان الهدف الأدبي للرسالة هو تجاوز مجرد الإخبار لتحقيق وظائف اجتماعية.(٦٠)

لقد قام التوحيدي بتجميع ما في هذه الرسالة. بقوله " لكنني تأخرت في الرد عليها وكتابة أفكاري حتى حدث ما حدث. وعندما جاء هذا الوقت في رجب سنة ٤٠٠، وجدت المسودة التي كنت قد كتبتها سابقًا." (٦٢)، فقال أحد الباحثين إن قيمة كتاب (الصداقة والصديق) تعتمد على طريقة تصوير أبي حيان للصديق واستكشافه لطبائع الشخصيات المختلفة.(٦٢)،وهكذا فان التوحيدي قدم النصوص برؤية فلسفية تحمل في طياتها لمسات ادبية نقدية تمحورت حول موضوعات متعددة ومتنوعة جميعها تصب في منظور واحد وهو منظور الصداقة والصديق ، والتي اشتملت على العديد من الخصائص الفنية التي كانت بارزة في تلك النصوص.

وعليه وبعد دراسة مفهوم "الصداقة والصديق" من جوانب عدة نجد أن الصداقة ليست مجرد علاقة اجتماعية فحسب، بل هي قيمة فلسفية أساسية تساعد على تشكيل الهوية الإنسانية

وتحقيق الكمال إذ استطاع" أن يعكس قمة اللا توافق بالنسبة للحياة...التي عاشها ، هذا بالنسبة للمؤثرات الخارجية، أما المؤثرات الداخلية الخاصة بذاته فهو ينقلها بحقيقتها المتضاربة والمتنافرة بين قمة القناعات التي يحاول أن يجعل منها منهجا لحياته القلقة"(٦٣). وتظهر الرؤى التي تم تحليلها بدءًا من النوع الاول إلى فكرة صداقة الروح ، أن الصديق الحقيقي هو ليس فقط من يشاركك الفرح، بل هو مرآة تعكس عقلك وروحك. إنه يساعدك على البقاء صادقًا مع نفسك ويدعمك في الاستقامة والوضوح. ومن الناحية الفلسفية فان الصداقة تمثل سعيًا لفهم الأسئلة المتعلقة بالوجود البشري في المجتمع؛ فهي تتطلب تأملات عميقة مثل النزاهة في الحكم وتجنب الحسد، فضلاً عن القدرة على التسامح والغفران عن الأخطاء ، كما أوضح كل من شبيب بن شيبة والأعرابي. وعندما وصف أبو عامر النجدي الصديق بأنه يصدقك عن نفسه وعن غيره، أضاف بُعدًا مهمًا وهي العلاقة الحية بين الأصدقاء.

الخاتمة

يظهر كتاب التوحيدي أن الصداقة ليست مجرد علاقة اجتماعية، بل هي قيمة فلسفية وغاية أخلاقية تتجاوز حدود الزمان والمكان. لذا فقد سجلنا جملة من النتائج أهمها :

– يقدم التوحيدي فكرة عميقة تجعل من الصداقة وسيلة لتحقيق الكمال الإنساني ووسيلة للارتقاء الأخلاقي. إن كتابه ليس مجرد عمل أدبي بل هو رسالة فلسفية تؤكد أن الصداقة الحقيقية تجمع بين العقل والروح والقلب نحو هدف واحد.

– تمييز الصداقة الحقيقية: يوضح التوحيدي الفرق بين الصداقات التي تعتمد على المصالح الشخصية والظروف المؤقتة، وتلك التي تقوم على أساس قوي من الود الخالص. ويرى أن الصديق الحقيقي ليس من يأتي في أوقات الفائدة فقط، بل من يبقى معك في جميع الظروف.

– الصداقة كمرآة للروح: يعد الصديق الحقيقي "مرآة الروح"؛ فهو يعكس لك شخصيتك بصدق، ويساعدك على رؤية عيوبك ونقاط قوتك، مما يشجعك على تحسين نفسك وتطويرها.

– الاتصال الروحي: يرفع التوحيدي مفهوم الصداقة إلى مستوى الاتصال الروحي الذي يتجاوز الجوانب المادية بالنسبة له، وتعد الصداقة وسيلة للنمو الروحي والأخلاقي، إذ يعمل الصديقان معًا على تحقيق الحق والخير.

– الصداقة كشراكة فكرية: يرى التوحيدي أن أفضل أنواع الصداقة هي تلك التي لا تقتصر على المشاعر فقط، بل تشمل توافق الأفكار والتعاون في المعرفة ،فالصديق هو رفيق في رحلة البحث عن الحقيقة وشريك في التفكير وداعم في السعي للعلم.

– الصداقة الخالدة : يؤكد التوحيدي أن الصداقة الحقيقية لا تتأثر بتغير الزمن أو الظروف لأنها مبنية على جوهر روحي دائم، مما يجعلها علاقة خالدة تتجاوز حياة الدنيا.

الهوامش

(١)ينظر :المقايسات لأبي حيان التوحيدي،حسن سندوبي:١٩

(٢)العلاقة بين الفلسفة والادب(في الفكر الغربي المعاصر)،د.عبدالله على عمران:١١

(٣)في الأدب الفلسفي،محمد شفيق شيا: ١٣

(٤)ينظر:العلاقة الفلسفة والادب(في الفكر الغربي المعاصر):٢

(٥)نقد الفلسفة،دكتور إبراهيم خليفة:٣

(٦)ينظر: توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) ،الطالبة سجا محمد جواد الخيكان:١٤

(٧)المعجم الأدبي،جبورعبد جبور:١٩٢-١٩٣

(٨)ينظر:تجديد المنهج في تقويم التراث،الدكتور طه عبد الرحمن:٣٨

(٩)الصداقة والصديق:١٠٠

(١٠)ينظر: المصدر نفسه :١٩

(١١)ينظر : النثر الفني عند أبي حيان التوحيدي،د. عبد الرزاق محي الدين: ٢٣٢.

(١٢)الصداقة والصديق:١٠٠

(١٣)ينظر:المصدر نفسه:١٣

(١٤)المصدر نفسه:٣٩

(١٥)المصدرنفسه::١٠٤

(١٦)توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ):١٦٤

(١٧)المعجم الأدبي :٢٦٩

(١٨)ينظر:الصداقة من منظور فلسفي بين محاورة ليسيس لأفلاطون والأخلاق الأرسطية، إبراهيم الكيلاني،:٢٩

(١٩)ينظر:المصدر نفسه:٢٣

(٢٠)الإمتاع والمؤانسة،أبو حيان التوحيدي،:١/٤

(٢١)الصداقة والصديق:٩٣

(٢٢)الاغتراب عند التوحيدي:٤٣

(٢٣)مظاهر ثقافية في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي،د.باسم ناظم المولى،مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،العدد١،المجلد٣،السنة٢٠٠٨: ١٤٧

(٢٤)أبو حيان التوحيدي وأسلوبه النثري،، فاطمة ساطع عبد الحسين:٣١

(٢٥)الصداقة والصديق:٩٣

(٢٦)الصداقة والصديق:٤٤

(٢٧)الصداقة والصديق:٤٦

(٢٨)المعجم الأدبي،جبور عبد جبور:٢٣٤-٢٣٥

(٢٩)الاغتراب عند التوحيدي،د. محمود إسماعيل:٤٣٢

(٣٠)النقد في الفكر الفلسفي الحديث،د. محمود رجب:٢١٧

(٣١)الصداقة والصديق:٩٨

(٣٢)توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)،(رسالة ماجستير)،الطالبة سجا محمد جواد الخيكان:١٥٦

(٣٣)ينظر :المقابسات ،أبو حيان التوحيدي،:١٩

(٣٤)الاغتراب عند التوحيدي:٤٣

(٣٥)الصداقة والصديق:١٩٣

(٣٦)المصدر نفسه:٧٣

(٣٧)المصدر نفسه:٢١٧

(٣٨)فلسفة المصادفة،محمد أمين العالم:٣٦

(٣٩)الصداقة والصديق:٨٤

(٤٠)المصدر نفسه:٨٤

(٤١)الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة:٢١١

(٤٢)الصداقة والصديق:٣٤٩

(٤٣)معضلة يوثيفرو"دراسة بين طبيعة العلاقة بين الأخلاقية والأوامر الإلهية "،د.مصطفى عبد الروؤف راشد احمد،مجلة كلية الاداب ،جامعة سوهاج،مصر،العدد الحادي والسبعون ،الجزء الاول،٢٠٢٤م:١٩٤

(٤٤)ينظر :الصداقة من منظور فلسفي:٣٤

(٤٥)توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)،(رسالة ماجستير)،الطالبة سجا محمد جواد الخيكاني:١٤

(٤٦)الصداقة والصديق:٢٠٧

(٤٧)المصدر نفسه:٢٠٧

(٤٨)نظرية التلقي والنقد العربي الحديث،د. بشرى موسى صالح:١٧

(٤٩)الصداقة والصديق:٦٤

(٥٠)ينظر :نظرية التلقي والنقد العربي الحديث:١٥

(٥١)المصدر نفسه :١٣١

(٥٢)ينظر :الصداقة من منظور فلسفي:٣٤

(٥٣)النقد الفلسفي للعلم والتقنية عند مدرسة فرانكفورت"هابرماس "انموذجاً،(رسالة ماجستير)،الطالب:محمد سباع:٥٥

(٥٤)الصداقة والصديق:١٠٠

(٥٥)المصدر نفسه:٣٠٧

(٥٦)المصدر نفسه:١٢٤

(٥٧)المصدر نفسه:١٣٦

(٥٨)المصدر نفسه:١٣٦

(٥٩)ينظر :توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ):٣٨

(٦٠)ينظر :المصدر نفسه:١٢٧

(٦١)ينظر :١٩

(٦٢)– أبو حيان التوحيدي، الرحلة إلى الداخل : د فائز طه عمر مقالة نشرت في جريدة القادسية في الحادي والعشرين من كانون الأول عام ١٩٩٧ .:٧٥

(٦٣)سريالية الخيال،د.نوفل حمد الناصر،مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،العدد٢،المجلد٣،السنة٢٠٠٨: ١١

قائمة المصادر

اولاً:المراجع

١. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢. الاغتراب عند التوحيدي، د. محمود إسماعيل، سين للنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

٣. تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٥.

٤. الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٨.

٥. الصداقة من منظور فلسفي بين محاورة ليسيس لأفلاطون والأخلاق الأرسطية، إبراهيم الكيلاني، دار طيبة، القاهرة، ١٩٩٩.

٦. العلاقة بين الفلسفة والأدب في الفكر الغربي المعاصر، د. عبد الله علي عمران، دار طيبة للنشر، القاهرة، ٢٠١١.

٧. الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥.

٨. فلسفة المصادفة، محمود أمين العالم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠.

٩. في الأدب الفلسفي، محمد شفيق شيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١١. المقايسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٢.

١٢. نقد الفلسفة، د. إبراهيم خليفة، دار ومكتبة الإسراء، طنطا، ٢٠٠٥.

١٣. النقد في الفكر الفلسفي الحديث، د. محمود رجب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.

١٤. النثر الفني عند أبي حيان التوحيدي، د. عبد الرزاق محي الدين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠.

١٥. نظرية التلقي والنقد العربي الحديث، د. بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

ثانياً: المجلات

١. "أبو حيان التوحيدي، الرحلة إلى الداخل"، د. فائز طه عمر، جريدة القادسية، العراق، العدد الصادر في ٢١ كانون الأول ١٩٩٧.

٢. "سريالية الخيال"، د. نوفل حمد الناصر، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠٨.

٣. "معضلة يوثيفرو: دراسة بين طبيعة العلاقة بين الأخلاقية والأوامر الإلهية"، د. مصطفى عبد الرؤوف راشد أحمد، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، العدد ٧١، ج١، ٢٠٢٤.

٤. "مظاهر ثقافية في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي"، د. باسم ناظم المولى، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ٣، العدد ١، ٢٠٠٨.

ثالثاً: الرسائل

١. "توظيف الأجناس الأدبية في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ)"، سجا محمد جواد الخيكان، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٨.

٢. "النقد الفلسفي للعلم والتقنية عند مدرسة فرانكفورت (هابرماس أنموذجاً)"، محمد سباع، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٦.

Bibliography

First: References

.١Al-Imta' wa Al-Mu'anasa, Abu Hayyan al-Tawhidi, edited by: Ahmad Amin and Ahmad al-Zain, Dar Maktabat al-Hayat ،Beirut.

.٢Alienation in al-Tawhidi, Dr. Mahmoud Ismail, Sin Publishing, Cairo, 1992.

.٣Renewal of the Method in Evaluating Heritage, Dr. Taha Abderrahman, Arab Cultural Center, Casablanca, 2nd ed.٢٠٠٥ ،.

.٤Al-Sadaqa wa Al-Sadeeq (Friendship and the Friend), Abu Hayyan al-Tawhidi, edited by: Ibrahim al-Kilani, Dar al-Fikr al-Mu'asir, Damascus, 1998.

.٥Friendship from a Philosophical Perspective between Plato's Lysis Dialogue and Aristotelian Ethics, Ibrahim al-Kilani, Dar Tayba, Cairo, 1999.

.٦The Relationship between Philosophy and Literature in Contemporary Western Thought, Dr. Abdullah Ali Omran, Dar Tayba Publishing, Cairo, 2011.

.٧Philosophy and Language: A Critique of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy, Zouaoui Beghoura, Dar al-Tali'a, Beirut, 2005.

.٨Philosophy of Coincidence, Mahmoud Amin al-Alim, Dar al-Ma'arif, Cairo, 2nd ed., 1970.

.٩On Philosophical Literature, Mohammad Shafiq Shaya, University Institution for Studies and Publishing, Beirut, 2009.

.١٠The Literary Dictionary, Jabbour Abdel-Nour, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 2nd ed., 1984.

.١١Al-Muqayasat, Abu Hayyan al-Tawhidi ،edited by: Hassan al-Sandubi, Dar Suad al-Sabah, Kuwait, 2nd ed., 1992.

.١٢Critique of Philosophy, Dr. Ibrahim Khalifa, Dar and Maktabat al-Isra, Tanta, 2005.

.١٣Criticism in Modern Philosophical Thought, Dr. Mahmoud Rajab, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1995.

.١٤Artistic Prose of Abu Hayyan al-Tawhidi, Dr. Abdul Razzaq Mohieddin, Iraqi Scientific Academy Press ،Baghdad, 1980.
.١٥Reception Theory and Modern Arab Criticism, Dr. Bushra Moussa Saleh, Arab Cultural Center, Casablanca, 2001.

Second: Journals

" .١Abu Hayyan al-Tawhidi, The Journey Inward ،"Dr. Faiz Taha Omar, Al-Qadisiyah Newspaper, Iraq, issue published on December 21, 1997.
" .٢Surrealism of Imagination ،"Dr. Nawfal Hamad al-Nasser, Kirkuk University Journal for Humanitarian Studies, Vol. 3, No. 2, 2008.
" .٣Euthyphro's Dilemma: A Study of the Nature of the Relationship between Morality and Divine Commands ،"Dr .Mustafa Abdul-Rauf Rashid Ahmad, Journal of the Faculty of Arts, Sohag University, Egypt, No. 71, Part 1, 2024.
" .٤Cultural Aspects in the Book Sayd al-Khatir by Ibn al-Jawzi ،"Dr. Basim Nazim al-Mawla, Kirkuk University Journal for Humanitarian Studies, Vol. 3, No. 1, 2008.

Third: Theses

" .١The Employment of Literary Genres in the Book Al-Sadaqa wa Al-Sadeeq by Abu Hayyan al-Tawhidi (d. 414 AH ،"(Saja Mohammed Jawad al-Khaikan, Master's Thesis, College of Education, University of Al-Qadisiyah, 2018.
" .٢The Philosophical Critique of Science and Technology in the Frankfurt School (Habermas as a Model ،"(Mohammed Seba', Master's Thesis, University of Hadj Lakhdar, Batna, Algeria.٢٠٠٦ ،